النظام التربوي للفرد و الأسرة في تفسير التبيان للشيخ الطوسي(٤٦٠هـ) (الآثار النفسية العقلية السلوكية إنموذجًا)

اسم الباحث: م.م محمد حامد ابراهيم الخفاجي
طالب دكتوراه جامعة كاشان الحكومية– ايران–محافظة اصفهان–مدينة كاشان /كلية الآدب واللغات الاجنبية– قسم علوم القرآن والحديث

اسم الاستاذ المشرف الاول
د. حسين ستار
تدريسي في جامعة كاشان

اسم الاستاذ المشرف الثاني
د. مصطفى عباس مقدم
تدريسي في جامعة كاشان

البريد الإلكتروني Email : dr.mohammed.h.e@gmail.com

الكلمات المفتاحية: التربية، الفرد، الاسرة، التبيان، الطوسي.

كيفية اقتباس البحث
الخفاجي ، محمد حامد ابراهيم ، حسين ستار ، مصطفى عباس مقدم، النظام التربوي للفرد و الأسرة في تفسير التبيان للشيخ الطوسي(٤٦٠هـ) (الآثار النفسية العقلية السلوكية إنموذجًا)،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، كانون الثاني ٢٠٢٦،المجلد:١٦ ،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Educational System for the Individual and the Family in " Al-Tibyan" Interpretation by Sheikh Al-Tusi(460h) (Psychological, Mental, and Behavioral Effects as a Model)

Researcher's Name: M.M. Mohammad Hamed Ibrahim Al-Khafaji
PhD Student, Kashan State University, Iran, Isfahan Province, Kashan City / Faculty of Arts and Foreign Languages - Department of Quranic and Hadith Sciences

Name of the primary supervisor:
Dr. Hussein Sattar
Lecturer at Kashan University

Name of the second supervising professor:
Dr. Mustafa Abbas Moghadam
Lecturer at Kashan University

Keywords : Education, Individual, Family, Al-Tibyan, Al-Tusi.

How To Cite This Article
Al-Khafaji, Mohammad Hamed Ibrahim, Hussein Sattar , Mustafa Abbas Moghadam , The Educational System for the Individual and the Family in "Al-Tibyan" Interpretation by Sheikh Al-Tusi(460h) (Psychological, Mental, and Behavioral Effects as a Model),Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, January 2026,Volume:16,Issue 1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract :

The study in this research addressed the educational system and explored the educational system pertaining to the individual and the family in the Quran. I relied on the interpretation of "Al-Tibyan" by Sheikh Al-Tusi and the explanation of the verses related to the research topic due to its significant scholarly weight in the field of exegesis (tafsir) and its ability to uncover the mental, psychological, and behavioral

effects on the individual and the family. Additionally, I referenced opinions from other sources and references.

We also delved into the aspects of education in the Quran, focusing on the individual and the psychological, mental, behavioral, and material impacts that education leaves on a person. We also examined the aspect related to the family and society, as the family is the cornerstone of society, and society cannot thrive without it.

The educational system according to the Quran is a process of selecting virtuous behavior for all of humanity. At its core, it involves guiding and reforming the behavior of individuals in society, leading to the establishment of an advanced and virtuous community. The upbringing of generations can only be achieved by adhering to the morals of Islam and the ethics of the noble Prophet, who was a walking Quran on earth. His conduct and behavior were a practical application of the rulings set forth in the Quran.

The general aim of the research is to highlight a small part of the social aspects in the Quran, such as the education of the individual, the organization of the family, and the demonstration of their effects.

As for the methodology applied in the research, it is based on investigative research and analysis, specifically the analytical and interpretive approach. This method involves examining the phenomenon under study and deriving conclusions from it.

The interpretation (tafsir) confirms the innate need for an educational system, emphasizing that humans strive for perfection. According to Al-Tusi, by nature, humans need guidance to achieve the correct orientation.

الملخص

تناولت الدراسة في هذا البحث النظام التربوي والتعرف على النظام التربوي الخاص بالفرد والاسرة في القرآن وقد تم إعتمادي تفسير التبيان للشيخ الطوسي وشرح الآيات الخاصة بموضوع البحث وذلك لما يمثله من ثقل علمي كبير في علم التفسير وايجاد الاثار السلوكية العقلية النفسية للفرد والاسرة إضافة إلى استطراد آراء المصادر والمراجع الأخرى.

كما عمدنا إلى التّطرّق إلى جوانبِ التّربويّة في القرآن الكريم جانبَ الفردِ والآثار النفسية والعقلية والسلوكية والمادية التي تتركها التربية في نفس المرء، والجانب الذي يتعلق بالأسرة والمجتمع فالأسرة دعامة المجتمع ولا يقوم المجتمع إلا بهم.

والنظام التّربويُّ وفقَ القرآنِ الكريمِ عمليّةٌ لانتقاء السّلوك الخيِّر للبشريّةِ قاطبةً، تتضمّن في جوهرها توجيهَ سلوكَ الأفرادِ وتقويمَه في المجتمع، ممّا يترتّب عليه بناء أرقى مجتمعٍ وخيرِ أمّةٍ، ولا يمكن تنشئةُ الأجيال إلّا بالرّجوع إلى أخلاق الإسلام وأخلاقِ النّبيِ الكريمِ الذي كان قرآناً يمشي على الأرض، وكان نهجُه وسلوكُه تطبيقاً عمليّاً للأحكام الموضوعةِ في القرآنِ الكريم.

الهدف من البحث بصورة عامة إظهار جزء بسيط من الجنبات الإجتماعية في القرآن الكريم تربية الفرد وتنظيم الاسرة وبيان الاثار .

أمّا المنهج الّذي سعى البحث إلى تطبيقه، فينطلق من نوع التحقيق ، وهو منهج البحث والتحليل ، وهو المنهج التحليلي والتفسيري الّذي يقوم على تحري الظاهرة في دراستها واستنباط النتائج منها.

التفسير يؤكد فطريّة الحاجة للنظام التربوي، وأنّ الإنسان يسعى للتكامل، وبالفطرة فهو بنظر الطوسي بحاجة إلى ما يساعده على التوجه الصحيح .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم فاتح الآفاق قاذف العلوم في الأذهان العليم الحق نور النور الحمد لله مالك التنزيل والتأويل والتخويل الرؤوف بعلمائهِ حين الزلل والخطأ سالك الطرق لفهم علومه.

والصلاة والسلام على محتضن القرآن وناشره بين البلدان الرسول العالم بدون تعليم ولا تلقين سيد السادات محمد الأُمي العربي الامين وعلى بيت الوحي والتنزيل إشراف الأَسر وقادة الأُمم علي وفاطمة والحسن والحسين وسلسلتهم الذهبية الناصعة وخاتمهم وقائمهم الولي العالم سلطان المشارق والمغارب هدية البشر ومنقذها الخلف المنتظر صاحب العصر والزمان.

أنّ القرآن الكريم كتاب هداية وتربية وتوجيه ، وقد أنزله اللّه تعالى لتربية هذه الأمّة وإنشائها وإعدادها إعدادا كاملا ؛ لتكون أمّة صالحة ، فلا بد أن يكون جامعا وحاويا لجميع ميادين التربية في حياة الإنسان ، فهو كتاب توحيد خالص من شوائب الشرك والإلحاد ، وكتاب حكمة ومعارف حقّة ، وكتاب تربية الروح والعقل ، وتزكية النفس وتربية الجسد ، وكتاب تربية الفرد والاجتماع ، وسوق كلّ منهما إلى منتهى الكمال ، وكتاب أخلاق يحتوي على جميع الفضائل العامّة الإنسانيّة.

العقل الجوهر الثمين في الانسان الذي ميزه الله سبحانه في الانسان ليكون مصدر الامانة والايداع وان تربية العقل الانساني وتهذيبه هو بمثابة السلطة المركزية التي تتحكم بباقي مفاصل وتفرعات الانسان وتربية العقل وفق الطريق الاسلامي المحمدي الاصيل هو المسار الذي يعبد طرق التربية وان القران الكريم ثمن هذا الجوهر الانساني.

وبين القرآن العظيم أن القرآن الكريم هو مصدر السلوك للفرد للمسلم والسنة النبوية الشريفة، وبهذا يختلف مصدر تلقي السلوك عن باقي المدارس التربوية والفلسفية الأخرى التي تجعل المجتمع أو الفرد مصدراً لتلقِّي السلوك.

فالنظام التّربويّ وفق النّهج القرآنيّ يعني السّموَّ بالنّفسِ البشريّةِ إلى معناها الأسمى نحو غايتها في الكمال الذي لا يمكن أن يتحقّق لها، إنّما تحاول الاقترابَ منه شيئاً فشيئاً بالتّبصّر والتّفكّر في أحكام القرآن الكريم وما يتضمّنه من قيمٍ تربويّةٍ.

المبحث الاول

المطلب الاول: النظام لغة

جاء في معجم العين: نظم النظم نظمك خرزا بعضه الى بعض في نظام واحد وهو في كل شيء حتى قيل: ليس لامره نظام اي لا تستقيم طريقته. والنظام: كل خيط ينظم به لؤلؤ او غيره فهم نظام(الفراهيدي،(د،ت)،ج٨، ص١٦٥)

وفي صاح العربية: نظمت اللؤلؤ، أي جمعه في السلكِ والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر ونظمته، والنظام الخيط الذي ينظم به الؤلؤ..... ويقال لثلاثة كواكب من الجوزاء: نظم(الجوهري، ١٩٨٤م، ص٢٠٤١)

وجاء في مختار الصحاح: انظم: اللؤلؤ جمعه في السلك وبابه ضرب، ونظمه تنظيما مثله ومنه نظم الشعر ونظمه والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ ونظم من لؤلؤ وهو في الاصل مصدر والنظام الاتساق(الرازي، ١٩٨١م، ص٦٦٨)

(نَظَمَ) النُّونُ وَالظَّاءُ وَالْمِيمُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَأْلِيفِ شَيْءٍ وَتَأْلِيفِهِ، وَنَظَمْتُ الْخَرَزَ نَظْمًا، وَنَظَمْتُ الشِّعْرَ وَغَيْرَهُ. وَالنِّظَامُ: الْخَيْطُ يَجْمَعُ الْخَرَزَ. وَالنِّظَامَانِ مِنَ الضَّبِّ: كُشْيَتَانِ مِنْ جَنْبَيْهِ، مَنْظُومَانِ مِنْ أَصْلِ الذَّنَبِ إِلَى الْأُذُنِ.(ابن فارس، المكتبة الشاملة، ج٥، ص٤٤٣)

وقال ابن منظور: النّظم التّأليف ، يقال نظمه نظما ونظاما ، ونظّمه فانتظم وتنظّم ، ويقال : نظمت اللّؤلؤ أي جمعته في السّلك ، وكلّ شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته(ابن منظور، ٢٠٠٤م، ج١٢، ص٥٧٨)

النظام اصطلاحا:

يُطلَق النظام في الاصطلاح على معنيين؛ أحدهما: **عام**، والآخر: **خاص**.

المعنى **العام** عرَّفه البعض : مجموعة الأحكام التي اصطلح شعبٌ ما على أنها واجبة الاحترام، وواجبة التنفيذ لتنظيم الحياة المشتركة في هذا الشعب"(العربي، ص٢١)

والنظام بالمعنى **الخاص**: حكم تقتضيه السياسة الشرعية، وقيل هو: "ما يضعه أولو الأمر من الأحكام النظاميَّة، والسياسية، وتحديد عقوبات التعزير مما يحتاج إليه بشرط ألا يُخالِف ما ورد في الشرع .

يقول الرازي: خلوص الكلام من التعقيد واصله من الفصيح وهو اللبن الذي اخذت منه الرغوة(بلعيد،(د ت)، ص١٦١)

تعريف التربية لغة واصطلاحا

التربية لغة:

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية وجدنا لكلمة التربية أصولاً لغوية ثلاثة:

الأصل الأول: رَبا يربو بمعنى زادَ ونما ،فتكون التربية هنا بمعنى النمو والزيادة، كما في قوله تعالى :{يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} (٢٧٦) سورة البقرة ...

{وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} (٣٩) سورة الروم

الأصل الثاني: رَبى يربي على وزن خفى يخفي، وتكون التربية بمعنى التنشئة والرعاية، كما في قوله تعالى:{قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} (١٨) سورة الشعراء،{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (٢٤) سورة الإسراء.

وعليه قول الأعرابي :

فمن يكُ سائلاً عني فإني * بمكة منزلي وبها ربيتُ**

الأصل الثالث: رب يرب بوزن مدّ يمدّ بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه، كما في قوله تعالى:{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلآئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (٣١) سورة البقرة

{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ} (٤٨) سورة آل عمران

اذا لفظة التربية تتضمن دلالات لغوية متعددة ، تركز جميعها على ما ينبغي أن تتضمنه العملية التربوية من أنشطة .

١.الإصلاح : ربا الشيء إذا أصلحه والإصلاح قد لا يقتضي الزيادة وإنما التعديل والتصحيح

٢.النماء والزيادة : رَبا الشّيءُ يَرْبُو رُبُواً و رِباءً : بمعنى زاد ونما ..

٣.نشأ وترعرع : رَبِيَ يَرْبَى ، على وزن خَفِيَ يَخْفَى : أي نشأ وترعرع .

٤.ساسه وتولى أمره : ربيت القوم : أي سُسْتُم : أي كنت فوقهم .

٥.التعليم : الرباني من الرب ، بمعنى التربية ، والرباني : الراسخ في العلم أو الذي يطلب بعلمه وجه الله تعالى .

وقال الشيخ الطوسي في التبيان "رب من التربية يقال ربيته وربيته بمعنى واحد والربى الشاة ولدت حديثا لأنها تربى . وقوله (رب العالمين) أي المالك لتدبيرهم والمالك للشئ يسمى ربه ولا يطلق هذا الاسم إلا على الله وأما في غيره فبقيد فيقال : رب الدار ورب الضيعة وقيل إنه مشتق من التربية ومنه قوله تعالى : (وربائبكم اللاتي في حجوركم) ومتى قيل في الله انه"(الطوسي، ١٤٠٩هـ،ج١، ص٣٢)

التربية اصطلاحًا:

قال الشيخ الطوسي: التربية وهي تنشئة الشئ حالا بعد حال حتى يصيرإلى الكمال(الطوسي، ١٤٠٩هـ، ج٤، ٣٢٧) أصل الصفة بـ (رب) التربية وهي تنشئة الشئ ، حالا بعد حال حتى يصير إلى حال التمام والكمال ، ومنه رب النعمة يربها ربا إذا تممها ، وربي الطفل تربية ، والله تعالى رب العالمين المالك لهم ولتدبيرهم(الطوسي، ١٤٠٩هـ، ج٤، ص٥٠٦)

قول الراغب الأصفهاني : الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام(الاصفهاني، (د ت)، ص ١٨٤)

وقال البيضاوي : الرب في الأصل اللغوي بمعنى التربية ، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً

وقال ابن سينا: أنها وسيلة إعداد الناشئ للدين والدنيا في آن واحد وتكوينه عقلياً وخلقياً وجعله قادر على اكتساب صناعة تناسب ميوله وطبيعته وتمكنه من كسب عيشه. (الحازمي، ١٤٣٠م، صص ١٩-٢٠)

فلفظة التربية مصدر كلمة (ربّى) بالتضعيف، فيقال: ربّاه تربية؛ أي: أحسن القيام عليه، ووَلِيه حتى يفارق الطفولية، كان ابنه أو لم يكن، وأما الربّ فعلى ثلاثة أقسام: يكون الرب بمعنى المالك، ويكون الرب بمعنى السيد المطاع، ويكون الرب بمعنى المصلح، ورَبّ الشيءَ: إذا أصلحه (ينظر لسان العرب لابن منظور مادة (ربب) ١٥٤٧/٣).

وعلى هذا فأقصد بالتربية القرآنية ما يمتاز به القرآن الكريم من خصائص عالية موصلة لغايات سامية، إذ يأخذ بلبّ المرء فيجعله يرتقي من حال إلى أحسن وإلى أفضل بل وإلى أعلى وأسمى، في العمل والمعتقد ونحوهما، وكل هذا يدل عليه معنى التربية.

تعريف التربية من منظور علماء النفس

يقول سميث " إنّ معنى التّربية لا يتأثّر بمرور السّنين فحسب، بل يتأثّر باختلاف المكان، أثر المكان في شخصية الإنسان وميوله وتغيير طينته الأساسية "(بوصنبورة: ٢٠٠٦م، ص٥٢)

ويُعرّف **جون ستيوارت** ميل التربية بأنّها: "كلّ ما نفعله نحن من أجل أنفسنا وكلّ ما يفعله الآخرون من أجلنا حين تكون الغاية تقريب أنفسنا من كمال طبيعتنا"(الرشدان،٢٠٠٧، ص٢٥.)

يقول هاربرت

أنَّ علم التربية هو : علم يهدف إلى تكوين الفرد من أجل ذاته، وبأن توقظ فيه ميوله الكثيرة"

تعريف التربية من منظور علماء الاجتماع

التربية على أنها كل ما نفعله نحن بأنفسنا ، وكل ما يفعله الآخرون من أجلنا، وذلك بهدف الاقتراب من تحقيق كمالنا الخاص بطبيعتنا(إميل دوركايم: ١٩٩٦،ص ٥٥)

أما ابن خلدون فقد أكد في آرائه التربوية على " ضرورة العناية بتنمية عقل المتعلم ومراعاة استعداداته العقلية. (الحازمي، ١٤٣٠م، صص ١٩-٢٠)

تعريف النظام التربوي بصورة عامة

النظام التربوي في مفهومه العلمي هو نظام يتكون من العناصر والمكونات والعلاقات التي تستمد مكوناتها من النظم السوسيوثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها البلورة غايات التربية وأدوار المدرسة ونظام سيرها ومبادئ تكوين الأفراد الوافدين إليها.

إن النظام التربوي هو أساس النظم الأخرى الموجودة في المجتمع ومحورها، إذ أنه يتكفل ببناء أهم رأسمال في الأمة وهو الإنسان.

فإذا كان النظام قائما على أسس قيمية وعلمية فاعلة، انعكس ذلك على نوعية الإنسان وكفاءته، ومن ثم على أدائه كعضو يساهم إيجابا في تطوير مجتمعه وإنتاج حضارته والعكس كذلك.

أن يقوم النظام التربوي على فلسفة وأهداف واضحة، أن يولد هذا النظام من ثقافة المجتمع، أن يستند على نتائج البحث العلمي، ويشرف على تطبيقه وتقييمه دوريا أخصائيون وخبراء في الميدان باتباع مناهج موضوعية.

المطلب الثاني: النظام التربوي في القرآن الكريم

التّربيةُ الإسلاميّةُ تربيةٌ منبثقةٌ من كتاب الله جلَّ علاه وسنّة رسولهﷺ؛ إذ هما المصدران الرّئيسان للإسلام الذي جاء بفضائلِ الأخلاق وأكرمِها التي تحكم حياةَ المسلم وتنظّم أموره، وشرّع العباداتِ والمعاملاتِ التي تقوّم السّلوكَ الإنسانيَّ من الانحرافِ وتعزّزُ القيمَ الخلُقيّةَ الفاضلةَ.

لكون القرآن الكريم كتاب تربية حقيقة مسلّمة لا ينكرها إلا من ختم الله على قلبه، فهو كتاب تربية وتهذيب وتطوير وتجديد لكل أمور المرء في حياته إن أراد الدنيا أو أراد الآخرة، إذ قال الله تعالى عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم قال تعالى {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [الجمعة:٢] وهذا الكتاب يؤدي مهمتين اثنتين في وقت واحد، مهمة تعليمية تثقيفية، ومهمة أخلاقية تربوية، وهكذا كانت المدرسة المحمدية النبوية الأولى على هذا الأساس من التعليم وتهذيب النفس وتربية القلوب والعقول.

عمل الفكر التّربويّ الإسلاميّ المستمدّ من القرآن الكريم على أن يقوم المجتمع الإسلاميّ على عقيدةٍ راسخةٍ ونظامٍ شاملٍ متوازنٍ، يعمل على تربيةِ المجتمعِ وتطهيرِه وصيانتِه، (حجازي، ٢٠٠٨م، ص ١٣) فتميّز الإنسانُ المسلمُ من غيره بالعقيدةِ الرّاسخةِ التي يحملها والتي يستمدّ منها سلوكَه، وبالأخلاقِ والطّرائقِ التي يحققّ بها غاياتِه؛ كما أوضحَ القرآن الكريم الآدابَ العامّةَ في مرافقِ الحياةِ قاطبةً ، من مثل قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** {النّور: ٢٧}

المطلب الثالث

نُبذَةٌ عَن حَيَاةِ العَلَّامَةِ الشيخ الطوسي وَكِتَابِه التبيان

الاسم والنسب واللقب والعصر

الاسم:

التّعريف بالشّيخ الطّوسيّ

هو أبو جعفرٍ محمّدٌ بن الحسنِ بن عليٍّ بن الحسن الملقّب بالطّوسيّ. (الطوسي،١٣٦١م، ص١٨٩) نسبةً إلى طوس، والصّيغةُ الأصليّةُ لها بالفارسيّة: توس وفيها قبرُ الإمام عليٍّ بن موسى الرّضا عليه السلام، ثامن الأئمّة، وقد اشتُهرت بكونها مركزًا مرموقًا علميًّا، تخرّج فيها من أئمّة العلم والفقه.(ظ: الأمين، ١٣٩٠هـ، ج١٢، ص: ١٤٣)

ولادته

المولودُ في شهر رمضانَ عام ٣٨٥ هـ في طوس بإيران ، والذي كان قد نشأ فيها ، وترعرعَ وإلى أن بلغَ الثالثةَ والعشرين من عُمرِه ، عندها عزم على الهجرة إلى العراق ، فنزل بغداد عام

٤٠٨هـ(ظ: البحراني، ص٥٩٣، الاسترآبادي، ص٢٩٢، القمي، ج٢، ص ٩٧، الصدر، ١٩٨٠م، ص٢٦٧)

اساتذة الشيخ الطوسي

العلماء الذين تتلمذ عليهم وروى عنهم كُثُر، وقد بلغ عددهم سبعةً وثلاثين شيخاً، ذكرهمُ الشّيخُ الطّوسيُّ في مؤلّفاته المختلفة(ظ: الطوسي، ١٩٦١م، ص: ٤٥ ، بحر العلوم، مصدر سابق، ج١، ص: ٢٠- ٢٤.)

إلا أن أبرز الذين أثّروا في شخصيته هم:

١.الشّيخ أبو عبد الله أحمد بن عبد الواحد بن أحمد البزّاز، المعروف بابن الحاشر أو ابن عبدون (ت.س. ٤٢٣هـ)

٢.الشّيخ أحمد بن محمّد بن موسى المعروف بابن الصّلت الأهوازيّ (ت.س. ٤٠٩هـ)

٣.الشّيخ أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن الغضائريّ (ت.س. ٤١١)

٤.الشيخ أبو الحسين عليّ بن أحمد بن محمّد بن أبي جيد القميّ (ت.س. ٤٠٨).

٥.شيخ الأمّة أبو عبد الله بن النّعمان، المعروف بالشّيخ المفيد (ت.س. ٤١٣هـ)

تلامذة الطّوسيّ:

ما ان استقلّ الشيخ الطوسي بزعامة المذهب الامامي عند وفاة الشريف المرتضى عام٤٣٦هـ في بغداد حتّى صارت داره في الكرخ مأوى الأُمّةٌ ومقصد الوفّاد وقد انهال العلماءعلى دروسه ، واجتمع تحت منبره جمعٌ من التلاميذ بلغ عددهُم اكثر من ثلثمائةِ مجتهدٍ ، ومن العامّة مالا يُحصى كثرةً. (ظ: المامقاني، ج١، ص١٩٤،الطهراني، ج١و ص٤٢، بحر العلوم،ص٢٤)

ومنهم:

١.أبو عليٍّ الحسن بن محمّد الطّوسيّ (ت.س. ٥١٥هـ) : وهو ابن الشّيخ الطّوسيّ،.

٢.أبو بكر أحمد بن الحسين النّيسابوريّ : وقد قرأ على الرّضى والمرتضى والطّوسيّ،

٣.الشيخ الفقيه آدم بن يونس بن أبي المهاجر النسفي.

٤.الشيخ المؤلف ابو بكر أحمد بن الحسين بن احمد الخزاعي النيسابوري.

٥.الشيخ أبو طالب إسحاق بن محمد بن الحسنة بن بابويه القمّي.

٦.الشيخ أبو إبراهيم إسماعيل شقيق إسحاق بن بابويه القمّي المتوفّى سنة ٥٠٠ هـ.

تراث الشيخ الطوسي

اولا: في علم التفسير: كتاب التبيان في تفسير القران(طبع في عشرة اجزاء)، المسائل الرّحبيّة في تفسير القرآن: وهي رسالةٌ حول تفسير بعضِ آيات القرآن الكريم، المسائل الدّمشقيّة في تفسير القرآن: يضمّ اثنتي عشرة مسألةً تتمحور حول علم التّفسيرِ.

ثانيا: في علم الفقه: كتاب النهاية في مجرد الفقه والفتاوى : وهو دورة فقهية كاملة مختصرة مستلة من نصوص الأخبار والأحاديث، المبسوط في الفقه: ويحتوي على تعريفات كثيرة معتمدة على أحاديث أهل البيت عليهم السلام، الخالف: حيث تعرض فيه إلى المسائل الخلافية.

ثالثا: في علم اصول الفقه: العدة في الاصول ويعرف بعدة الاصول ايضا، وهو من اوسع كتب الاصول القديمة المعتمدة.

رابعا: في علم الكلام: تلخيص الشافي في الامامة وهو تلخيص لكتاب الشافي الذي الفه السيد المرتضى في بحث الامامة، الغيبة للحجة: وهو كتاب موسع في ما يرتبط بالإمام المنتظر(عجل الله فرجه)، الاقتصاد الهادي الى طريق الرشاد، المفصح في الامامة

خامسا: في الادعية والزيارات: مصباح المتهجد في اعمال السنة: وهو كتاب خاص بالأدعية ونصوص الزيارات الواردة للائمة عليهم السلام.

سادسا: في علم الرجال: الفهرست: وهو كتاب بالتعريف بالرواة ومصنفي الشيعة واسماء مؤلفاتهم، رجال الطوسي (وهو تعريف بالرواة ويحتوي على تعريف لما رواه الشيخ الكشي)

سابعا: في علم الحديث: الامالي او المجالس وهو كتاب متنوع من حيث الموضوعات الدينية من اصول الدين وفضائل الائمة المعصومين عليهم السلام والادعية، تهذيب الاحكام، الاستبصار فيما اختلف من الاخبار

وفاة الشيخ الطوسي

اختلفت الروايات لسيرة الشيخ في تحديد وفاته، ؛ فقال أغلبهم أنّه تُوفّي في ليلةِ الاثنين الثّاني والعشرين من شهرِ محرّم سنةَ ٤٦٠ للهجرة، من بينهم ابن الأثير، وتاج الدّين السبكيّ(ظ: السبكيّ١٩٦٦م، ج٤، ص: ١٢٧،ابن الأثير١٩٩٦م، ج١٠، ص: ٥٨) وابن تغرى البرديّ... أمّا الصّفديّ فجعل وفاتَه سنةَ ٤٥٩هـ(ظ: الصفدي١٩٣١م، ج٢، ص: ٣٤٩، البردي١٩٦٣م، ج٥، ص: ٨٢) وذهبت دائرةُ معارف البستانيّ إلى أنّ وفاتَه إمّا في سنةِ ٤٦٠هـ وإمّا في سنة ٤٥٩(البستاني١٩٦٢م، ج٤، ص: ٢٤٠) وسوف تعتمد الدراسة على ما جاء عند الجمهور بأنّ وفاته قد تمّت سنة ٤٦٠هـ عن عمرٍ يناهز الخامسة والسّبعين عاماً بمشهد الإمام عليٍّ بن أبي طالبٍ(عليه السلام) بالنّجف الاشرف (ابن كثير، مصدر سابق، ج١٢، ص: ٩٧)

نبذة عن تفسير التبيان

التّبيان في تفسيرِ القرآن أهمّ احد الكتب القيمة في عالم التفسير والمعتمدة من قبل المدرستين لما له من ثقل علمي كتبِ الطّوسيّ وأكثرها تميّزاً؛ أبدعه بأسلوب فريد لم يعهده سابقوه وقد كان أول من خط بهذا الأسلوب ؛ تجنب الطوسي التكرار الممل والاختصار المخلّ ، وكذلك الاسهاب من غير ضرورةٍ ، وبهذا كان المفسِّر معتدلاً مقتصداً في كلّ ما طرح، فهو التفسيرِ الأوّل للإماميّةِ يحدد أبواباً متفرّدةً تشتمل على معظم أبحاث التّفسيرِ وعلومِ القرآنِ، من مثل القراءات ، والمعاني، والإعراب، واللّغة والنّظم، وغير ذلك...

وقد جاء التّفسير في عشرين جزءاً؛ غير أنّ إدماجَ النّسخِ لأجزائه بعضِها في بعضٍ قد حمل بعضَ المعاصرين _ من مثل السيد حسن الصدر الكاظميّ- على القول بأنّه يقعُ في عشرةِ أجزاءٍ .

طُبع التّبيان في تفسير القرآن طبعتين:

إحداهما في إيران ما بين سنتي ١٣٦٠هـ- ١٣٦٤هـ، وهي طبعةٌ مليئةٌ بالأخطاء اللّغويّةِ والطّباعيّة.

الثانية في النّجف ما بين سنتي ١٩٥٧- ١٩٦٣ في عشرةِ أجزاءٍ، وهي طبعةٌ جيّدةٌ بيدَ أنّها لم تخلُ من بعض الأغلاط الطّباعيّة.

المبحث الثاني

النظام التربوي عند الشيخ الطوسي

أنّ الإسلام حشّد أروع الأساليب لتنشئة الفرد المسلم على القيم الخلقية ، وتنمية طاقاته الخيِّرة ، وتحقيق المثل الكامل فيه .

ولكنّ هذا لا يعني أنّ الإسلام اقتصر على تربية الفرد خلقياً وترك تنظيم المجتمع . ولا أنّ الإسلام كان واعظاً للفرد فحسب ، ولم يكن إلى جانب ذلك مذهباً ونظاماً للمجتمع في مختلف مجالات حياته .

إنّ الإسلام لم ينهَ عن الظلم ، ولم ينصح الناس بالعدل ، ولم يحذِّرهم من التجاوز على حقوق الآخرين بدون أن يحدِّد مفاهيم الظلم والعدل من وجهة نظره ، ويحدِّد تلك الحقوق التي نهى عن تجاوزها .(المدرسة الإسلامية السيد محمد باقر الصدر، ص ١٥٠)

إنَّ القرآن الكريم كتاب هداية وتربية وتوجيه ، وقد أنزله اللّه تعالى لتربية هذه الأمّة وإنشائها وإعدادها إعدادا كاملا ؛ لتكون أمّة صالحة ، فلا بد أن يكون جامعا وحاويا لجميع ميادين التربية

في حياة الإنسان ، فهو كتاب توحيد خالص من شوائب الشرك والإلحاد ، وكتاب حكمة ومعارف حقّة ، وكتاب تربية الروح والعقل.

فهو كتاب كما وصفه عليّ عليه السّلام : « ظاهره أنيق ، وباطنه عميق ، لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ، لا تكشف الظلمات إلّا به » فهدفه اعداد الإنسان الصالح وترقيه من حضيض الرذيلة إلى أوج الشرف والكمال . (السبزواري ،١٤٠٦هـ ج ٩، ، ص ٧٩)

المطلب الاول: الاثار العقلية

العقل هو اساس التربية وكذلك تربية سائر التفرعات ومن اهم التربيات المعاصرة هي ابعاد العقل البشري عن الافكار المعاصرة من الشذوذ والانحراف والالحاد.

قوله (علم الانسان ما لم يعلم) امتنان من الله تعالى على خلقه بأن علمهم ما لم يكونوا عالمين به إما بخلق العلوم في قلوبهم من الضروريات أو بنصب الأدلة لهم على الوصول إليها فيما لم يعلموه ضرورة وذلك من أعظم نعم الله تعالى على خلقه(الطوسي،١٤٠٩هـ ،ج١٠،ص٣٨٠)

اي ان الله علمهم ورباهم واختصه بها وفضلهم وكرّمه بالعقل ليكونوا عالمين بالأشياء التي تهذب العقل وتسترشده للطريق الصواب وهذا من نعم الله سبحانه وتعالى من خلال آيات الاحكام استعير المرض لأعراض القلب ، كسوء الاعتقاد والغل والحسد وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض ، كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك ، والمراد به هاهنا ما * (في قلوبهم) * من الكفر أو من الغل والحنق على رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمؤمنين * (فزادهم الله مرضا) * بما ينزل على رسوله من الوحي ، فيكفرون به ويزدادون كفرا إلى كفرهم ، فكأنه سبحانه زادهم ما ازدادوه ، وأسند الفعل إلى المسبب(الطبرسي،١٤١٨،ج١، ص٧٢)

يعرّف العقلُ على أنّه: "الوصف الذي يفارق الإنسانُ به سائرَ البهائمِ، وهو الذي استعدّ به لقَبولِ العلومِ الفطريّةِ، وتدبيرِ الصّناعاتِ الحقيقيّةِ الفكريّةِ"(الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، ج١، ص: ١١٦)

ومن مكانة الانسان عند الله ان كرمه بالعم وميزة بالعقل الذي يدرك به ويتعلم وهي مكانة اختصة بها عن باقي المخلوقات

وقد أدرك أمير المؤمنين عليه السلام أهمّيّةَ التّفكّرِ وإعمالِ العقل حتّى أنّه جعلَ منها عبادةً يُجازى المرء عليها شأنها شأن سائرِ العباداتِ البدنيّةِ، يقول عليه السلام "أفضل العبادةِ إطالةُ التّفكّر في الله وفي قدرته"(الكليني، مصدر سابق، ج٢، ص: ٥٤– ٥٥)

والأسلوب القرآني يذكّر الفرد بالآيات الظاهرة ثم يتدرّج به إلى معرفة الحقائق التي وراءها ، كذلك كانت الآية الثانية والثالثة تذكرة بأعظم آيات الله ، ثم إثارة للعقل عن طريقها بالقول لآيات لقوم

يعقلون ذلك أن من يهتدي إلى الله بهذه الآيات يعرف انه لولا وجود العقل لديه لم يكن يقدر على معرفة الربط بين الله وبين آياته العظيمة .(المدرسي، ١٤٢٤هـ، ص ١٠٧)

فهو الذي ابتدأ خلقكم قبل أن لم تكونوا شيئاً لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا، فكيف تتعذّر عليه إعادتكم قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ {الملك:٢٣}؛ إنَّ الله تعالى قد امتنّ على عباده قاطبةً بأن منَحَهُمُ الذي يميّزهم من سائرِ المخلوقاتِ الأخرى هو الذي أنشأكم بأن أخرجكم من العدم إلى الوجود واخترعكم (وجعل لكم السمع والابصار) تسمعون بالسمع المسموعات وتبصرون بالبصر المبصرات (والأفئدة) يعني القلوب.(ظ: الطوسي: ج١٠، ص٧١).

وما من عقيدةٍ تدعو إلى احترامِ وتكريمِ العقلِ الإنسانيّ والاعتزاز به أكثرَ من العقيدةِ الإسلاميّةِ؛ فهي تدعو إلى تشغيل طاقاته ليؤدّيَ الدّورَ المنوطَ به في التّفكيرِ والتّأمّل والتّدبّرِ، وهذا دليلٌ على أنّ الدّعوةَ الإصلاحيّةَ وفق الشّريعةِ الإسلاميّة قامت على الإقناعِ العقليِّ، يمكن التّدليل على ذلك وفق قوله تعالى:﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ {يوسف:٢}.

وعلى الرّغم من كلّ هذا الرّفع والتّكريم إلّا أنّ الشّيخَ الطّوسيَّ يرى أنّ الشّارعَ الحكيمَ قد حدّد للعقلِ حدوداً، وخصّص له مجالاتٍ لا ينبغي له تجاوزَهَا؛ فليسَ العقلُ وحدَه بكافٍ لمعرفةِ جميعِ الحقائق، وليس بأساسٍ لجلبِ جميعِ المصالحِ الدّينيّةِ والدّنيويّةِ في آنٍ معاً، بل إنّه يحتاجُ إلى رقابةٍ وضوابطَ سماويّةٍ شفّافةٍ، يظهر هذا وفق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ {الإسراء:٣٦}.

فالله نهى الإنسانَ أن يتتبّعَ ما لا يعلمه، وقوله تعالى: "إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" أي يسأل عمّا يفعل بهذه الجوارحِ من الاستماعِ إلى ما لا يحلّ، والإبصارِ إلى ما لا يجوزُ، وإنّما قال (كلّ أولئك) ولم يقل (كلّ ذلك)؛ لأنّ أولئك وهؤلاء للجمع القليل، وهؤلاء للجمع القليل من المذكّر والمؤنّث(ينظر: الطوسيّ: التبيان في تفسير القرآن ، ج٦، ص: ٤٧٧)

ومن مظاهرِ تربية واحترامِ العقل وتكريمه وفق الإمام الطّوسيّ مسألةٌ تحريمِ الخمر؛ إذ جاء تحريمه لسبب أنّه يذهب العقلَ الذي هو وفقَ الشّريعة الإسلاميّة أمرٌ جليلُ الشّأنِ عظيمُ المقامِ، يظهر أثر الخمرِ في ذهابِ العقلِ وفق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ {النّساء:٤٣}.(ظ: الطوسيّ(د.ت)، ج٣، ص: ٢٠٦)

ومن مظاهرِ تربية واحترامِ العقل وتكريمه وفق الإمام الطّوسيّ مسألةٌ تحريمِ الخمر؛ إذ جاء تحريمه لسبب أنّه يذهب العقلَ الذي هو وفقَ الشّريعة الإسلاميّة أمرٌ جليلُ الشّأنِ عظيمُ المقامِ.(ظ: الطوسيّ: (د.ت)، ج٣، ص ٢٠٦)

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: "الإيمان يعني أن تعي قلوبكم وتصدّق تلك الأمور الّتي أدركتها عقولكم. وهذا يحتاج إلى المجاهدة حتّى تفهم قلوبكم أنّ العالم كلّه محضر لله، فنحن الآن في محضر الله، ولو أدرك قلبنا هذا المعنى بأنّنا الآن في محضر الله، وبأنّ هذا المجلس محضر لله، وإذا وجد قلب الإنسان هذا الأمر، فإنّه سيبتعد عن جميع المعاصي إذ إنَّ سبب جميع المعاصي أنّ الإنسان لم يجد هذا الشيء".

فالمعرفة العقليّة ضروريّة ولكنّها تبقى غير قادرة على مواجهة الامتحانات الصعبة ما لم تتعمّق وتصل إلى القلوب، فاحتلالها القلوب وتقوية هذا الجانب المعنويّ والروحيّ هو الحاجز الّذي سيمنع الإنسان من الانحراف وسيدعوه للاستقامة على الدوام.

المطلب الثاني: الاثار النفسية

إن الآثار التربوية لتربية النفس تتمثل في الامتثال لأمر الله تعالى وسنة نبيه، إذ إنَّ من أهم طرق تربية النفس وهي ولاية الراعي على رعيته، بأن ينشئهم ويربيهم تربية حسنة، وسيكون لهذه التربية اثر تربوي ايجابي ينعكس على الأسرة، والإحسان إلى اليتيم والعطف عليه فيربيه على الحفظ والبذل والصيانة والمساواة والعطاء، فمن خلال التوجيهات الربانية للآباء على أسرهم أن يهتموا بتربيتهم وتنشأتهم، من الآيات القرآنية أن الاثر التربوي واضح فيها، مرة جاء في حفظ أموال اليتامى، وأخرى في الميراث وغيرها.

يتبيّن لنا أنّ التربية هي شعور النفس الانسانية بالأمن بالنّسبةِ إلى الشّيخِ الطّوسيّ يتضمّن الأمنَ الدّنويَّ والأُخْرويَّ في آنٍ معاً؛ فمن مظاهر الأمن الدنيوي وفقَ تفسيرِه: الهداية إلى طريقِ الحقّ وجادةِ الصّواب، ومن مظاهرِ الأمن الأخرويّ: الأمن من عذاب الله تعالى وعذابِ النّار. ويفسّر لفظةَ (الظّلم) بالشّركِ مستشهداً على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان:١٣ (ينظر: الطوسيّ: (د.ت)، ج٣، ص: ٢٠٦).

ومن أبرز ما استهل به الشّيخ الطّوسي على مسألةِ السّكينة والأمن قوه تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾{الأنعام:٨٢}. يرى الشّيخ الطّوسيّ أنّ الآيةَ السّابقةَ إخبارٌ عن الله تعالى بأنّ من عرَفَ الحقَّ وصدّقَ له ولم يخلطْ ذلك بظلمٍ فإنّ له الأمنَ بحصولِ الثّوابِ والأمانِ من العقابِ وهو المحكومُ له بالاهتداءِ.(الطوسيّ: (د.ت)،ج٤، ص: ١٩٠)

فالمنهج الرباني في التربية القرآنية يجعلها شاملة لكل محاور التكوين البشري من عقل وقلب وروح ومشاعر وبدن من اجل خلق انسان صالح واعي يسير بنفسه بعيدا عن الاهواء والملذات المحرمة

تربية النفس الانسانية وتحمل هذه الشدائد والتعايش معها وان الانسان مبتلى وان الصّبر على الشّدائد فقد بيّن الشّيخ الطّوسيُّ أنّ أصلَ الحياةِ الدّنيا هو المشقّةُ والشّدائدُ، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ {البلد:٤}. إذ إنَّ معنى الكبَد: الشّدّة، وقيل: المُكابدةُ في الدّنيا والآخرةِ، فالكَبَدُ في العربية: شدّةُ الأمرِ؛ يقال: تكبّد اللّبنُ إذا غَلُظَ واشتدَّ، ومنه الكبد كأنّه دمٌ يشتدّ ويغلظ،(الطوسيّ: (د.ت) ، ج١٠، ص: ٣٥٠، ٣٥١)

والتربية القرآنية وضعت لمعالجة النفوس أسس دقيقة ؛ فقد شخصت العلل التي تصيب النفوس فتحيد بها عن طريق الفطرة القويمة التي فطرت عليها من الله سبحانه وان النفس الانسانية تمرض بالامراض السلبية من الانحرافات والانشغالات الدنيوية

إن التربية النفسية التي وضع مناهجها الإسلام تنقذ الإنسان من العوامل النفسية المتناقضة المثيرة لأخطر أنواع الصراع النفسي ، كما تؤثر بشكل إيجابي على السلوك العام مما يجعل الإنسان في مستوى عال من الثقافة الإنسانية والوعي السليم الذي يدفعه بإيمان إلى كل عمل منتج تتطور به الحياة الاجتماعية ، فإنه لم تكن تلك المثل الإسلامية التي عنيت بتهذيب النفس وإصلاحها مقتصرة على هذا الإطار الخاص ، وإنما تستهدف الإصلاح الاجتماعي ، والتوجيه الشامل لجميع مناحي الحياة ، ومن الطبيعي أن هذه التربية الفذة إنما تحقق أثرها الفعال في الإصلاح والتهذيب ، ونمو الأمة وتكوينها فيما إذا نفدت إلى أعماق النفس ، ومارسها الإنسان ممارسة فعلية في جميع ميادين سلوكه .(النظام التربوى في الإسلام، الشيخ باقر شريف القرشي، ص ٣٠٣)

من هنا تكون التربية النفسية طريقا لتحرير العقل من أغلالها . أما إذا انحرفت النفس فإن العقل سيتأثر سلبيًّا . من هنا اعتبرت الآية الكريمة زيغ النفس وانحرافها سببا لتأويل الباطل وحذَّرت من أي نوع من الزيغ .

وقوله : {فأما الذين في قلوبهم زيغ}

يقول الشيخ الطوسي يعني ميل يقال : أزاغه الله إزاغة أي أماله إمالة قال تعالى " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم " ومنه قوله : " لا تزغ قلوبنا " والتزايغ التمايل في الأسنان . والمعنى إن الذين في قلوبهم ميل عن الحق اما بشك أو جهل فان كليهما زيغ " يتبعون ما تشابه منه " ومعناه يحتجون به في باطلهم " ابتغاء الفتنة " ومعناه طلبا للفتنة "(الطوسي،(د.ت)، ج ٢ ،ص ٣٩٩) يقال : زاغ بصره وقلبه يزيغ زيغا ، ومنه قوله " فلما زاغوا زاغ الله قلوبهم " ومنه قوله " فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه " والزيغ الميل عن الحق " وما طغى " معناه ما طغى البصر أي ما ذهب يمينا وشمالا (الطوسي ،(د.ت)، ج ٩، الشيخ ، ص ٤٢٦)

المطلب الثالث: الاثار السلوكية

يعرَّف السلوك في علم النفس الحديث بأنه: أخلاق الفرد وتعامله مع الآخرين. وهذا الفهم يأتي من استخدام كلمة السلوك في الحياة اليومية، فنقول: فلان سلوكه حسن.

إنَّ السلوك يتأثر بكلٍّ من عوامل الوراثة والبيئة كما بينها القرآن الكريم ، ولكنه تأثير ليس حاسماً؛ فقد يحدث ما يضاد الوراثة والبيئة معاً.

قال تعالى{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

المتمعن في هذه الآية الكريمة يتضح له السلوك السوي الذي يسلكه الانسان والجزاء المترتب على هذا الشيء وكما يقول الشيخ الطوسي في تفسيره "هذا وعد من الله تعالى بأن من عمل صالحا من الطاعات سواء كان فاعله ذكرا أو أنثى ، وهو مع ذلك مؤمن بتوحيد الله ، مقر بصدق أنبيائه ، فأن الله يحييه حياة طيبة" . (الطوسي، (د.ت) ، ج ٦، ص ٤٢٤)

الذي يشير الى الاقتران بالعمل الصالح للفرد سواء كان ذكر او انثى{ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما} لان تقديره من عمل صالحا فليأمن ، ولا يخف . والمراد الخبر بأن المؤمن الصالح لا خوف عليه .(الشيخ الطوسي، (د.ت) ج ٧، ، ص ٢١١)

يقول الله تعالى " من عمل صالحا " أي فعل افعلا هي طاعة " فلنفسه " لان ثوابه واصل إليه ، وهو المنتفع به دون غيره " ومن أساء " يعني فعال فعلًا قبيحا ، من الإساءة إلى غيره أو غيرها " فعليها " أي فعلى نفسه لان وبال ذلك وعقابه يلحقه دون غيره . (الطوسي، (د.ت) ، ج ٩، الشيخ ، ص ١٣٥)

ثم قال تعالى على وجه النفي عن نفسه مالا يليق به من فعل القبيح والتمدح به " وما ربك " أي وليس ربك " بظلام للعبيد "

المعنى : ثم احتج سبحانه عليهم بأن قال : { من عمل صالحا فلنفسه } أي : من عمل طاعة فلنفسه ، لأن ثواب ذلك واصل إليه ، ومنفعته تكون له دون غيره(ومن أساء فعليها) أي : من عمل معصية ، فعلى نفسه وبال ذلك ، وعقابه يلحقه دون غيره .(الطبرسي، ج ٩ ، ص ٣١)

(اجتنبوا كثيرا من الظن) وإنما قال (كثيرا) لان في جملته ما يجب العمل عليه ، ولا يجوز مخالفته . وقوله { ان بعض الظن أثم } فالظن الذي يكون إثما إنما هو ما يفعله صاحبه وله طريق إلى العلم بدلا منه مما يعمل عليه ، فهذا ظن محرم لا يجوز فعله ، فأما مالا سبيل له إلى دفعه بالعلم بدلا منه ، فليس باثم ، فلذلك كان بعض الظن أثم ، دون جميعه.(الشيخ الطوسي، (د.ت) ، ج ٩، ص ٣٤٩)

الايمان سبب تغير سلوك الفرد ما يدل على اهتمام الإسلام بربط الإنسان بالآخرة ، بوصفها من أهم أسس الالتزام بالتشريع ، وهي الوسيلة الأكثر فعالية في ضبط حركة الإنسان في الحياة ، لأن الإيمان بالله أولاً ومن ثم الإيمان أن هناك آخرة ويوماً للحساب من شأنه أن يغيّر من سلوك الإنسان تغييراً جذرياً يجعل المؤمن لا يستوي مع غيره قال تعالى { أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ }(الحر العاملي،(د.ت)،ص٣٦)

يشير الطّوسيّ إلى سمتين تعدّان من أخطرِ السّمات تأثيراً في السّلوك الإنسانيّ ألا وهما سمتا (اللّمز والتّنابز بالألقاب)؛ "فاللّمزُ هو الرّميُ بالعيب لمن لا يجوزُ أن يُؤذى بذكره" أمّا التّنابزُ بالألقابِ فهو مشتقٌّ من (النّبز) بمعنى القذفِ باللّقبِ؛ نهاهُمُ الله تعالى أن يلقّبَ بعضُهم بعضاً، وقيل في تعريفِ التّنابز: "معناه كلّ اسمٍ أو صفةٍ يكره الإنسانُ أن يُدعى به فلا يُدعَ به إنّما يدعى بأحبّ الأسماءِ إلى نفسه" (الطوسي، (د.ت)، ج٩، ص: ٣٤٩).

وفق قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ {الحجرات:١١} إنّ معنى السّخرية وفق قوله تعالى " لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ" هو ألّا يهزأ قومٌ من قومٍ ويتلهّوْا منهم. (ظ: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٩، ص: ٣٤٨) ثمّ قال "عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ" لأنّه ربّما كان الفقيرُ المَهينُ في ظاهرِ الحالِ خيراً عند الله وأجلَّ منزلةً وأكثرَ ثواباً من الغنيّ الحسَنِ الحالِ.(الطوسي، (د.ت)، ج ٩، ص: ٣٤٨)

إن التغيير الذي يستهدفه القرآن الكريم هو تغيير سلوك الإنسان وعلاقاته والمحتوى النفسي والروحي له باتجاه الكمال المطلق المتمثل بالله تبارك وتعالى لا تغيير الطبيعة من حوله وعلاقتها به .

فتكامل الإنسان – الذي هو في النظرية الإسلامية أفضل مخلوق لله تعالى – لا يتحقق إلا من خلال تكامل سلوكه ، ومن هنا لا بد من معرفة الأمور المؤثرة في سلوك الإنسان والتي تغيره اما باتجاه الكمال والسمو أو النقصان والانحطاط.(محمد باقر الحكيم، تفسير سورة الحمد،ص١٧٨)

وواضح جداً أن المفاسد الروحية والخلقية والسلوكية بأسرها تنجم عن حب الدنيا والغفلة عن الله سبحانه وعالم الآخرة، وإن حب الدنيا رأس كل خطيئة، في حين أن جميع أنواع الصلاح الروحي والخلقي والسلوكي ينبعث عن التوجه نحو الحق، ودار الكرامة ومن اللامبالاة بالدنيا وعدم الركون والاعتماد على زخارفها.(مركز الامام الخميني،ص٦١)

فكان القرآن في التربية السلوكية قد أعلمهم أن النصر من عند اللّه ، وأن النصر سلاحه الإيمان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والثقة باللّه والاعتماد عليه ، والعمل الدائب المخلص . وفي أعقاب

الهزيمة في أحد كان القرآن يبلسم الجراح ، ويمسح الآلام ، ويوضح أن الأيام دول ، وأن الحرب سجال : يوم لك ويوم عليك .

وفي هذه الآيات الكريمة قدرة الانسان على بلوغ سلوكه الكمالات : إشارة إلى سلوك الإنسان إلى كماله وبلوغه إلى أقصى المقامات وأرفع الدرجات الروحانيّة.

الخاتمة

إنّ اهتمامَ علماء التّفسيرِ بالجانبِ التّربويّ في تفسير القرآنِ الكريم في ثنايا تفسيراتِهم وأعطافِها لا يقلّ أهمّيّةً عن عنايتهم بالجوانب الأخرى من التّفسيرِ؛ من حيثُ الاتّجاهاتُ اللّغويّةُ والفقهيّةُ والعقليّةُ والعقديّةُ وغيرها...

توعيةُ الجيلِ المسلمِ النّاشئ بقضيّةِ التّغيرِ الاجتماعيِّ والثّقافيِّ من حيثُ المفهومُ والعواملُ ودور الإنسانِ فيها والمبادئ التي يقوم عليها، وأن يكونَ ذلكَ كلُّه مستمَدّاً من كتاب الله تعالى وسنّةِ رسولهﷺ ومنهج أهل البيتعليهم السلام وسلوكهم واجتهادات العلماء والمسلمين والمفكّرين.

إنّ أهمّيّةَ التّفسيرِ التّربويّ تنبعُ من كونِه منسجماً معَ الهدفِ الرّئيسِ من نزولِ القرآنِ الكريم؛ وهو الهدايةُ والإرشادُ.

تنمية مهاراتِ التفكيرِ النّاقدِ لدى المتعلّمينَ المسلمينَ، وتنمية إحساسِهم بالمسؤوليّةِ تجاهَ واقِعِهمُ المعاش، وتخصيصِ برامجَ إذاعيّةٍ وتلفازيّةٍ لتوعيةِ الفردِ والأسرةِ والمجتمع، وتنمية قدراتها على أداء هذه الوظائفِ على خيرِ وجهٍ

من سار على طريق الاصلاح التربوي في القرآن الكريم لابد له من أن يحصد من ثمار هذا القرآن العظيم الذي ما دل البشرية الا على كل خير وصلاح.

للإصلاح التربوي أثر بليغ في نفوس الأفراد وهناك أمور عديدة يعتمد عليها الفرد. للأسرة اثر تربوي بليغ إذ تعد هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع فإن الأثر التربوي لها يبرز في المجتمع والفرد.

حرص الشّيخُ الطّوسيّ على غرس القيم الأخلاقيّة فكان منهجهما منهجاً إصلاحيّاً تربويّاً خُلُقيّاً، يتجسّد ذلك في حثّهم العمل بوصايا القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

- القران الكريم.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا القزويني(١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م): معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين المعروف بابن منظور الأنصاري الإفريقي(٧١١هـ) (د.ت): لسان العرب، دار صادر، بيروت– لبنان، ط٣.

•إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(٤٦٠هـ) (ت : ٥٠٥هـ) ، دار المعرفة – بيروت .

•البحرانيّ، الشيخ يوسف بن أحمد(١١٨٦هـ): لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الدين(١٩٨٦م)، تح: السيد محمد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، بيروت– لبنان، ط٢.

•الحازمي، خالد حامد (٢٠٠٠م): أصول التربية الإسلامية، دار عام الكتب للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

•الحجازي، محمد محمود(ت: ١٩٧٢م)، التفسير الواضح، الناشر:بيروت، دار الجبل الجديد، ط١٠، ١٤١٣هـ

•الحكيم ،محمد باقر(٢٠٠٣م)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الناشر: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٠م.

•الراغب الأصفهاني: أبو القاسم بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدّار الشّاميّة، دمشق– بيروت، ١٤١٢هـ، ص: ٣١٨

•الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني(١٣٩٣هـ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر(١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، بيروت– لبنان

•شهروي، علي رضا(٢٠٠٣م): الطّوسيّ شيخ الطائفة، تر: كال السيد، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر(١٤١٦هـ، ١٩٩٥م)، قم– إيران، ط١.

•الشيرازي، ناصر مكارم ؛ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل؛ الناشر: بيروت، مؤسسة البعثة، ١٤١٣هـ.

• الجوهري الفارابي(٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

•الطوسي، نصير الدين(٤٦٠هـ) (د.ت) التّبيان في تفسير القرآن، قدّم له: الإمام المحقّق الشّيخ آغا بزرك الطّهرانيّ، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان.

•الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ البصريّ(٧١٨هـ): معجم العين، دار ومكتبة الهلال، مادة (و،ع،ظ)

•الفراهيدي، الخليلبن احمد(٧١٨هـ)، كتاب العين، (ت:١٧٠هـ) تح: مهدي المخزومي، سلسلة العاجم والفارس.

•الكليني، أبوجعفر محمدبن يعقوب(ت: ٣٢٩هـ)، فروع الكافي، تحقيق: محمد جواد الفقيه، الناشر: بيروت، دار الأضواء، ١٩٩٢م.

•المجلسي، الشيخ العلّامة الحُجّة فخر الأمة المولى محمد باقر المجلسي(١١١٠هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان.

•الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت : ٧٦٤هـ) ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت :١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م .

•وناس، خيري وعبد الحميد، بوصنبورة (٢٠٠٦م): مادة التّربية وعلم النّفس، الدّيوان الوطني للتّعليم والتّكوين عن بعد.

References and Sources:

-The Holy Quran.

-Ibn Faris, Abu Al-Hussein Ahmad ibn Faris ibn Zakariya Al-Qazwini (1399 AH, 1979 CE): *Maqayis al-Lugha* (The Measures of Language), edited by Abdul Salam Harun, Dar Al-Fikr.

-Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram ibn Ali, Abu Al-Fadl Jamal al-Din, known as Ibn Manzur Al-Ansari Al-Ifriqi (n.d.): *Lisan al-Arab* (The Tongue of the Arabs), Dar Sader, Beirut, Lebanon, 3rd edition.

-Ihya Ulum al-Din (The Revival of Religious Sciences), Abu Hamid Muhammad ibn Muhammad Al-Ghazali Al-Tusi (d. 505 AH), Dar Al-Ma'rifa, Beirut.

-Al-Bahrani, Sheikh Yusuf ibn Ahmad (1986 CE): *Lulu'at al-Bahrain fi al-Ijazat wa Tarajim Rijal al-Din* (The Pearl of Bahrain in Certifications and Biographies of Religious Scholars), edited by Sayyid Muhammad Sadiq Bahr al-Ulum, Dar Al-Adwa, Beirut, Lebanon, 2nd edition.

-Al-Hazimi, Khalid Hamed (2000 CE): *Usul al-Tarbiya al-Islamiya* (The Foundations of Islamic Education), Dar Aam Al-Kutub for Publishing and Distribution, Saudi Arabia.

-Al-Hijazi, Muhammad Mahmoud (d. 1972 CE): *Al-Tafsir al-Wadih* (The Clear Interpretation), Beirut, Dar Al-Jabal Al-Jadeed, 10th edition, 1413 AH.

-Al-Hakim, Muhammad Baqir: *Tafsir al-Quran al-Hakim* (Interpretation of the Wise Quran, also known as *Tafsir al-Manar*), Cairo, Egyptian General Book Organization, 2nd edition, 1990 CE.

-Al-Raghib Al-Isfahani, Abu Al-Qasim ibn Muhammad, known as Al-Raghib Al-Isfahani: *Mufradat fi Gharib al-Quran* (Vocabulary of the Quran's Rare Words), edited by Safwan Adnan Al-Daoudi, Dar Al-Qalam, Damascus-Beirut, 1412 AH, p. 318.

-Al-Shanqiti, Muhammad Al-Amin ibn Muhammad Al-Mukhtar ibn Abd al-Qadir Al-Jakni (1415 AH, 1995 CE): *Adwa' al-Bayan fi Idah al-Quran bil Quran* (The Lights of Elucidation in Clarifying the Quran with the Quran), Dar Al-Fikr for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon.

-Shahrudi, Ali Reza (1416 AH, 1995 CE): *Al-Tusi, Shaykh al-Ta'ifa* (Al-Tusi, the Scholar of the Sect), translated by Sayyid Kal, Ansariyan Foundation for Printing and Publishing, Qom, Iran, 1st edition.

-Al-Shirazi, Naser Makarem: *Al-Amthal fi Tafsir Kitab Allah al-Munzal* (The Examples in Interpreting the Revealed Book of Allah), Beirut, Al-Bi'tha Foundation, 1413 AH.

-Al-Jawhari Al-Farabi: *Al-Sihah Taj al-Lugha wa Sihah al-Arabiya* (The Crown of Language and the Correct Arabic), Abu Nasr Ismail ibn Hammad (d. 393 AH), edited by Ahmad Abdul Ghafour Attar, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut, 4th edition, 1407 AH / 1987 CE.

-Al-Tusi (n.d.): *Al-Tibyan fi Tafsir al-Quran* (The Elucidation in Interpreting the Quran), introduced by Imam Muhaqqiq Sheikh Agha Bozorg Al-Tehrani, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, Lebanon.

-Al-Farahidi, Khalil ibn Ahmad ibn Amr ibn Tamim Al-Farahidi Al-Basri: *Mu'jam al-Ayn* (The Source of the Eye), Dar wa Maktabat Al-Hilal, entry.(و، ع، ظ)

-Al-Farahidi, Khalil ibn Ahmad (d. 170 AH): *Kitab al-Ayn* (The Book of the Eye), edited by Mahdi Al-Makhzoumi, series on Ajam and Persian.

-Al-Kulayni, Abu Ja'far Muhammad ibn Yaqub (d. 329 AH): *Furu' al-Kafi* (The Branches of Al-Kafi), edited by Muhammad Jawad Al-Faqih, Beirut, Dar Al-Adwa, 1992 CE.

-Al-Majlisi, Sheikh Allamah Al-Hujjah Fakhr al-Ummah Mulla Muhammad Baqir Al-Majlisi: *Bihar al-Anwar al-Jami'a li Durar Akhbar al-A'imma al-Athar* (Oceans of Lights: A Collection of the Pearls of Narrations from the Pure Imams), Al-A'lami Foundation for Publications, Beirut, Lebanon.

-Al-Wafi bil-Wafayat (The Sufficient in Obituaries), Salah al-Din Khalil ibn Aybak ibn Abdullah Al-Safadi (d. 764 AH), edited by Ahmad Al-Arna'out and Turki Mustafa, Dar Ihya al-Turath, Beirut, 1420 AH / 2000 CE.

-Wanas, Khairi and Abdul Hamid, Bousanboura (2006 CE): *Material on Education and Psychology*, National Office for Distance Education and Training.